الفصل الخامس

النشاط الفني والثقافي لليهود المصريين

obeikandl.com

obeikandl.com

أتاحت فرص الحياة الطبيعية ، لليهود في مصر ، شيوع روح التسامح الديني لدي الشعب المصري مثله مثل كل شعوب الشرق الإسلامي . وحصولهم علي كافة الحقوق المدنية ، كل ذلك أدي إلي تغلغل اليهود في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحياة المصرية. وكما أوضحنا سابقا ، اعتلت العائلات اليهودية الارستقراطية قمة السلم الاجتماعي في مصر ، وعادت حياة «مخملية ناعمه»، وحققت مستوي من الحياة يصعب أن توجد في أي مكان آخر في العالم بمقاييس ذلك العهد. أيضا كان هناك جوانب أخري ، فقد استأثر شباب ونشطاء اليهود بقاعدة المجتمع المصري في التجمعات العمالية ، عندما تولوا تأسيس التنظيمات الشيوعية وقيادة الحركة الشيوعية في مصر.وفيما بين قمة الهرم الاجتماعي وقاعدته ، تواجد اليهود بشكل واضح في ثنايا الطبقة الوسطي . وكان لهم كثير من الوجوه والشخصيات في مجالات الفن والسينما والثقافة . وأيضا جاءت الصهيونية ، لتقوم بتوظيف الفن والسينما والثقافة في خدمة أهدافها ومصالحها العليا ، وأيضا ، للتأثير علي الرأي العام المصري ، وتجعله يتقبل أفكارها ومراميها البعيدة ، أو علي الأقل تحييده وعدم نزوعه إلي رفض أو مناهضة مثل هذه الأفكار. وقد كشف «ألبرت مزراحي» أثناء الفترة التي اختلف فيها مع الصهيونية في مصر ، الكثير من أهدافهم وأفعالهم ، من خلال جريدة المصباح السينمائية ، والتي قام باستئجارها عام ١٩٤٦م ، من صاحبها محمد أمين أحمد ، ووكل إدارتها إلي الناقد الفني المعروف «حسن إمام عمر» ، بينما أسند رئاسة التحرير إلي زوجته «صول مزراحي» . وكانت مقالات مزراحي في المصباح كاشفة للدور الذي قامت به الحركة الصهيونية في مصر للسيطرة علي المجال الفني والسينمائي . وكيف أن هذه السيطرة تمت عبر إنشاء شركات تهيمن علي عناصر ومراحل الإنتاج من الأفلام الخام إلي الإنتاج والتوزيع ودور العرض مثل شركة «جوزي فيلم» المملوكة لجوزيف موصيري ، وشركة

التوزيع التي يمتلكها «إدجار موصيري» . وقد وصلت سيطرة اليهود علي دور العرض في مصر إلي نسبة ٩٠٪[١] وكانت الجامعة العربية قد أصدرت أمر بمقاطعة الشركات الصهيونية في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٥م. وبدأت مصر في تطبيق القرار في أول يناير ١٩٤٦م[٢] . فاحتالت الصهيونية علي هذا القرار بإصدار شركات بأسماء مصرية تذهب في أغلبها لتدعيم الأنشطة الصهيونية[٣] .

وكشفت جريدة «الصراحة» ، والتي مملوكة أيضا «لألبرت مزراحي» ، عن التعاون القائم بين المخرج المصري اليهودي «توجو مزراحي» ، وبعض السينمائيين الصهاينة ، وذلك لعمل دوبلاج باللغة العربية لفيلمين من أوائل أفلام الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت ، وهما فيلم «بيت أبي» «Father Home» وفيلم «أرض الأمل» «Home Land» . وكلا منهما يحاول إظهار حق اليهود في العودة إلي أرض فلسطين ، من وجهة نظرهم الباطلة . وعلي الجانب المقابل ، وعلي نفس عادة اليهود ،يحللوا لأنفسهم كل شيء ،ولا يعترفوا للآخرين بأي حق ، قامت القوي الصهيونية بشن حملة مكثفة وحرب شعواء ضد «شركة أفلام الجزيرة العربية» ، والتي أنشأها بعض الفلسطينيين لفضح المخططات والأساليب الصهيونية ، أي محاربتهم بنفس أسلوبها[٤] . أيضا في هذا السياق ، فإن فرقة «الهابيبا» المسرحية ، والتي أنشأها اليهود في فلسطين ، كانت لها مواسم في القاهرة ، وكذلك كان الحال مع الفرقة الموسيقية اليهودية «الفيلها رمونيه» ، والتي أصبحت فيما بعد الأوركسترا الأولي في إسرائيل بعد إنشاء الدولة العبرية[٥] .

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥.

(2)حسنى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠.

(3)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠.

(4)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥.

(5)على ، مصدر سبق ذكره، ص١٤٧.

* وقد امتد النشاط الثقافي لليهود المصريين متجاوزا مجال الصحافة والإعلام إلي مجالات الفنون ، خاصة السينما والمسرح والموسيقي ، وبرزت أسماء عديدة منهم فرضت نفسها علي الساحة الثقافية والفنية في مصر ،وتفاعل معها المجتمع والشعب المصري بدون أي حساسيات أو مواقف رفض بسبب العقيدة أو الديانة . وفيما يلي استعراض لأهم هذه الأسماء والشخصيات :

١ـ يعقوب صنوع :

ويعده النقاد واضع أسس المسرح في مصر ، بالإضافة إلي أنه أحد رواد الصحافة المصرية وفن «الكاريكاتير» السياسي ، كما سبق إيضاحه . وقد تأثر صنوع بالعروض المسرحية التي كانت تقدمها الفرق الأجنبية علي مسرح حديقة الأزبكية ومنها فرق إيطالية وفرنسية في عهد الخديوي إسماعيل. وقام بتكوين فرقة مسرحية وقام بالتأليف والإخراج لها. ولما بدأت أعماله تظهر إلي النور ، دعاه الخديوي إسماعيل لتقديم عروض خاصة في سراي قصر النيل . وكان أول من استخدم فتيات في التمثيل علي خشبة المسرح ، وكان ذلك له من الغرابة في مجتمع شديد المحافظة في ذلك الوقت. وبلغ إنتاج يعقوب صنوع حوالي ٣٢ مسرحية ، ولقبه البعض بلقب «موليير مصر». وكان من أهم أعماله المسرحية ، مسرحية «البورصة» والتي كانت تتناول عمليات التلاعب في البورصة من قبل الأجانب وسذاجة المصريين . أيضا قدم مسرحية أبو «زيدة البربري» والتي كانت تنتقد فساد الحكام ، وكان هناك مسرحية «الضرتان» والتي أثارت غضب الخديوي إسماعيل ، بالإضافة إلي مسرحيات «راستو وشيخ البلد» و «السلاسل المحطمة» و«الحشائش» و «زبيدة» و «الحلوان» و «الوطن والحرية» [1].

***

(1)المصدر نفسه ، ص١٦٠.

٢ـ داوود حسني :

واسمه الحقيقي «دافيد حاييم ليفي» ، ولد عام ١٨٧١م. ويعتبر أحد رواد التلحين والموسيقي في مصر. وعاصر في نهاية القرن التاسع عشر اثنين من كبار الغناء والتلحين وهما : عبده الحامولي ومحمد عثمان ، وتعلم منهما ، وقد بدأ مطربا ثم اتجه إلي التلحين. وكان غزير الإنتاج ، وقدم أعماله الفنية علي مدار خمسين عاما.

وكانت أعماله مستوحاه من البيئة الشعبية ، فأثرت في الناس ، مثل «قمر له ليالي» و «ليلة في العمر» و «صيد العصاري» وغيرها من الألحان والطقاطيق والتي مازالت موجودة حتى الآن ويعرفها الوسط الفني . ولم يقتصر داوود حسني في أعماله علي الأدوار والطقاطيق إنما اتجه إلي الموسيقي التعبيرية وموسيقي المسرح ، حيث قدم أكثر من ٢٥ أوبريت ومسرحية غنائية أشهرها «معروف الإسكافي» و «صباح» و «ليلة كليوباترة» . وهو الذي قام بتلحين أول أوبرا مصرية بالكامل وهي أوبرا «شمشون ودليلة». وأثبت بذلك قدرة الموسيقي الشرقية علي التعبير عن كل معاني الحياة . وهو ما يتدارسه الباحثون في علم الموسيقي . وتوفي عام ١٩٣٧م[١] .

ومما يحسب لداوود حسني هو دخوله الإسلام ، هو ومجموعة من العاملين في الوسط الفني مثل ليلي مراد وأخيها منير مراد ، ونجمة إبراهيم ، وعمر شلهوب (عمر الشريف)[٢] . وبالتالي فهو لم يتأثر بالصهيونية وأنشطتها الخبيثة ولم يثبت أن له أي علاقة بها . ولكنه تأثر بالمحيط الاجتماعي الذي عاش فيه والتي كانت أعماله الفنية معبرة بصدق عن هذه البيئة وما تزخر بها من معاني راقية وإنسانية. لذلك فهو قد فاز بالاحترام والتقدير حيا وميتا وحتى الآن.

---

(1) نقلاً عن علي : مصدر سبق ذكره ، روز اليوسف ، مقال في ٧ فبراير ١٩٥٥م بعنوان « خرجوا من دينهم من اجل الحب ».

(2) نصار، مصدر سبق ذكره، ص٨١.

٣ـ ليلي مراد :

هي أيضا من الأسماء التي استحوذت علي حب واحترام الأوساط الفنية والشعب المصري وكان ذلك بالتحديد عام ١٩٤٦م. والدها «زكي مراد» من نجوم الطرب والتلحين لها عدة أشقاء : ملك وسميحة «أسلمت أيضا» ، وإبراهيم وموريس الشهير بـ «منير مراد» والذي أشهر إسلامه أيضا واقترن بنجمة المسرح «سهير البابلي». وقد اقترنت ليلي مراد بالفنان «أنور وجدي» ثم تزوجت بالمخرج السينمائي «فطين عبد الوهاب» وأنجبت منه ابنها «زكي» ثم اقترنت بـ «وجيه أباظة» عضو تنظيم الضباط الأحرار ، ومحافظ القاهرة السابق ورجل الأعمال وأنجبت منه ابنًا يسمي «أشرف» وولداها يعيشان بالولايات المتحدة. من أشهر أفلامها «ليلي» و«ليلي بنت الفقراء» ، «ليلي بنت مدارس» و «شاطئ الغرام» بالإضافة إلي فيلمها الشهير «غزل البنات» والذي حقق نجاحا هائلا.

وقد رحلت ليلي مراد في بداية عام ١٩٩٦م ، وشيعت جنازتها - طبقا لوصيتها - من مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها. وبذلك هي ومعها بعض الأسماء القلائل تمثل استثناء عن الوجه القبيح للصهيونية واليهود المصريين.

٤ـ نجوي سالم :

اسمها الحقيقي «نينات سالم» لمعت في فرقة الريحاني مع أسماء فنية كبيرة مثل ماري منيب ، عادل خيري ، عباس فارس ، شرفنطح . وكانت أمها «ميرفت جودة» تعمل خبيرة أزياء لدي محلات «شيكوريل» المليونير اليهودي المعروف. وقد أشيع أن والدتها كانت علي علاقة صداقة مع «أمين عثمان» أحد السياسيين المصريين المعروفين علي الساحة السياسية المصرية ، والذي كان له كلمته المشهورة «إن مصر وبريطانيا في حالة زواج كاثوليكي ، لا طلاق فيها» والتي كانت سببا في اغتياله ، وهي القضية الشهيرة والتي كان أحد المتهمين فيها الرئيس الراحل «أنور السادات»

. وأن «ليون كاسترو» الزعيم الصهيوني في مصر ، كان علي علم بهذه العلاقة . وقام باستثمارها سياسيا ، لصالح الطائفة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر ، حتي يضمن استمرار دعم الدول للجمعيات الصهيونية في ذلك الوقت[1] .

٥ـ راقية إبراهيم :

اسمها الحقيقي «راشيل إبراهام ليفي» ، بدأت حياتها بحي السكاكيني ، كحائكة ملابس لكنها أحبت فن التمثيل ، والتحقت بالفرقة القومية . وقد مثلت عدة أفلام أشهرها «الحل الأخير» ، «سلامة في خير» ، «رصاصة في القلب» ، «ملاك الرحمة» وفيلم «زينب» عن قصة د. محمد حسين هيكل ، وإخراج محمد كريم وشاركها البطولة «يحي شاهين» ، و«فريد شوقي» عام ١٩٥٢م. وقصة زينب يعتبرها النقاد أول قصة مصرية . وأيضا مثلت فيلم «إلي الأبد» في الأربعينيات. وهي تعتبر من الوجوه الصهيونية ، فقد تزوجت من مهندس الصوت «مصطفي والي» وغادرت مصر عام ١٩٥٦م ، إلي الولايات المتحدة ،وعملت بقسم الاتصال والإعلام الخاص بوفد إسرائيل في الأمم المتحدة ، وتمتلك بوتيك لبيع المنتجات والتحف الإسرائيلية في نيويورك . وقد استضافت عددامن الوفود الصحفية والفنية المصرية والتي زارت نيويورك عقب عقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وكانت تقيم لهم الولائم الفاخرة[2] ، علي سبيل التطبيع الفني والإعلامي.

٦ـ نجمة إبراهيم :

ولدت نجمة إبراهيم عام ١٩٠٦م. عشقت التمثيل وحياة الفن ، التحقت بالفرقة القومية منذ بدايتها عام ١٩٣٥م. عملت مع عمالقة المسرح المصري : جورج

(1) المصدر نفسه،ص٨١.

(2) هيكل،المفاوضات...، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٦.

أبيض ، عزيز عيد ، فاطمة رشدي . وعملت أيضا مع فرقة الريحاني. من أشهر أعمالها الفنية والتي تعد من علامات السينما المصرية ، فيلم «أسير الظلام» وفيلم «الحرمان» وفيلم «صراع الأبطال» والفيلم الشهير «ريا وسكينة» . تزوجت بالفنان «عباس يونس» وتوفيت عام ١٩٦٨م[١] .

٧ـ إلياس مؤدب :

هو الفنان الكوميدي والذي شارك في العديد من الأفلام ، أمام أغلب نجوم الكوميديا مثل «إسماعيل يس» وغيره . وكان يسكن في حارة اليهود . أحب الغناء والتمثيل ، وكان يعمل منولوجست في الأفراح الخاصة . وكان سر شهرته هو تقليد «اللهجة الشامية» في الأفلام المصرية القديمة. لذلك جاء في أذهان كثير من الناس ، أنه من أصول شامية (سوري أو لبناني)[٢] .

وبالطبع هناك أسماء أخري مثل «كاميليا موسي» و «استر شطاح» و «نظلة مزراحي» ، و«توجو مزراحي» والذي كان من رواد فن السينما ، ولكنه صهيوني النزعة كما سبق إيضاحه وفي مجال إنتاج وتوزيع الأفلام السينمائية برزت شركة «جوزي فيلم» والتي أسسها المليونير اليهودي «جوزيف موصيري» والتي سبقت الإشارة إليها ، وكانت تمتلك وتدير عشرات دور السينما في القاهرة والإسكندرية ، وكذلك شركة توزيع الأفلام لصاحبها «إدجار موصيري» وكذلك «إدوارد ليفي» الذي كان يدير شركة لإنتاج وتوزيع الأفلام بالإسكندرية. وكان الواقع العملي يقول أن ٩٠٪ من دور العرض السينمائي في مصر في أيدي أثرياء يهود.

***

(1) انظر : Bulletine، Israeli Acadmemic Center in Cairo، no، 23، June، 1998.P.21-22

(2) على، مصدر سبق ذكره، ص١٥٤.

جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية :

أنشأت الطائفة الإسرائيلية في القاهرة عام ١٩٢٥م (جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية) بهدف إحياء التراث التاريخي اليهودي ، وإيقاظ الوعي القومي اليهودي. وقد أنشأ هذه الجمعية وأشرف عليها «الحاخام حاييم ناحوم أفندي» رئيس الطائفة في العام الذي تولي فيه رئاسة الطائفة رسميا. وكان محور الارتكاز الذي تعتمد عليه أنشطة هذه الجمعية. هي الحض علي عدم اندماج اليهود في مصر . ومحاولة إثبات ذلك من خلال الدراسات والأبحاث التي تنتجها الجمعية. وإظهار تاريخ الاضطهاد الذي تعرضت له الطوائف اليهودية. وكانت فكرة الاندماج يروج لها بعض اليهود ، فأرادت الجمعية أن تتصدي لهذه الفكرة ، وتبين أن هناك مسار خاص لليهود عبر التاريخ منفصل عن المجتمع الذي يأويه[1]. وبالطبع كان هناك خطاب براق عن أنشطة الجمعية. تخاطب به الآخرين من قوي وفاعليات المجتمع ، يخفي الغرض الأساسي لها . اتخذت الجمعية مقرا لها في شارع زكي بالتوفيقية بوسط القاهرة ، وهي المنطقة المفضلة لمقار التنظيمات اليهودية علي مستوي الطائفة . واشتملت الجمعية علي ثلاث لجان كما يلي :

١- اللجنة الأولي : (لجنة الجرد)

ومهمتها جرد الكتب والمخطوطات اليهودية والخاصة بتاريخ اليهود في مصر.

٢- اللجنة الثانية : (لجنة المحاضرات)

وتهتم بتنظيم المحاضرات وطبع ونشر المؤلفات عن تاريخ اليهود في مصر .

٣- اللجنة الثالثة : (لجنة العلاقات الخارجية)

وتهتم بالاتصال بالطوائف اليهودية في البلدان الأخري وتوثيق الصلات بهم.

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨.

* وقد تولي رئاسة الجمعية عند إنشائها «يوسف قطاوي» ومن بعده ابنه «رينيه قطاوي». أما الحاخام «حاييم ناحوم أفندي» فكان رئيسا شرفيا لها . وقد شارك في أنشطة الجمعية ، وعقد المحاضرات ، عدد من اليهود المصريين مثل الدكتور إسرائيل ولفنون أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم ، والذي أصبح أستاذا فيما بعد بالجامعة العبرية بالقدس. ومراد فرج ليشع المحامي والكاتب والمفكر المعروف ، والدكتور ألفريد بلوز مدير الترجمة بوزارة الزراعة والذي تولي سكرتارية الجمعية عام ١٩٣٦م ، وهو حاصل علي درجة الدكتوراه في تاريخ الأدب من جامعة بروكسل عام ١٩٢٧م ، بالإضافة إلي أسماء أخري مثل صامويل جوتين ومراد كامل وغيرهم . وقد شاركت الجمعية في احتفال الطائفة اليهودية بالمئوية الثامنة لموسي بن ميمون الذي كان طبيبا خاصا للقائد «صلاح الدين الأيوبي» ، ويعتبر أحد الفلاسفة اليهود . وقد أقيمت الاحتفالية في دار الأوبرا المصرية تحت رعاية الملك فؤاد. أيضا ، أصدرت الجمعية ، مجلة خاصة بها في عام ١٩٤٧م ، باسم مجلة تاريخ الإسرائيليين في مصر . وقد كتب «رينيه قطاوي» في افتتاحية العدد الأول من هذه المجلة : «إن المجلة نافذة لنشر الأبحاث الخاصة باليهود في مصر ، وأنها سوف تفتح آفاقا واسعة لحياتهم ولماضيهم بين ظهراني الشعب المصري الكريم»[1].

وهي رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادي النيل السعيد ، الذي يرجع إلي آلاف السنين ، وأوضح أيضا ، أن المجلة سوف تصدر بعدة لغات لاشتراك علماء من اليهود من مصر والخارج في تحريرها . مع إضافة ترجمة موجزة باللغة العربية لجميع الموضوعات حتي تصبح في متناول الشعب المصري . وأضاف

(1) مجلة تاريخ الإسرائيليين فى مصر ، القاهرة : جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية ، طباعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٤٧م ، ص ٣-٥ وما بعدها.
نقلاً عن د. سعيد عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨ وما بعدها .

قطاوي : «أما منهجنا فإنه يمتد إلي أقصي حدود تاريخ اليهود في مصر زمانا ومكانا ، ونشوء الطوائف اليهودية المختلفة علي ضفاف النيل ومصيرها منذ ظهورها الأول في عمر آباء بني إسرائيل حتي العصر الحديث». وتجدر الإشارة هنا إلي أن «رينيه قطاوي» كان عضوا في الجمعية الجغرافية المصرية ، وله كتاب ضخم عن تاريخ الخديوي إسماعيل وعصره.

obeikandl.com